لسانا عربيًا
مجلة تعليم اللغة العربية
Lisanan Arabiya : Jurnal Pendidikan Bahasa Arab
P-ISSN 2550-0430 (Print), E-ISSN 2623-2588 (Online)
IMLA

Received : 03-06-2020	Accepted : 24-06-2020
Published : 28-06-2020	Doi : 10.32699/liar.v4i1.1278

الآيات القرآنية على ضوء علم الأصوات وأثرها في المعنى
(دراسة دلالية صوتية في بعض الآيات القرآنية)

أحمد حسن الختام
مدرس في جامعة سونان فندان أران الإسلامية
khitammaliki@gmail.com

Abstract

This paper deals with a very specific problem in term of the relationship between sound and its meaning in the Qur'an. As a scripture revealed with Arabic language as its medium, the Qur'an often uses some words or sentences that have an intimate relation between its meaning and the way of its expression. It means that the sounds which construct those words or sentences have a huge rule to determine meaning, and therefore, a single word or sentence which is expressed by using different voices may produce different meaning. This paper shows that the Qur'an has a very intimate relation between sounds which construct words or sentences and their meaning. It covers some parts of segmental and suprasegmental phonemes discussion in linguistics tradition, including the preference of phonemes, intonation, stress, juncture and so on. This research based on library research, a research proceeds by gathering some facts from various books, articles, and other literatures related to the subject. This research combines semantic and phonological approach with analytic description method. From this research, it is found that the words or sentences of the Qur'an have some ways to express its voices or phonemes which construct words and sentences in order to show certain meaning. It means that some words or sentences of the Qur'an produce certain meaning based on the preference of its phonemes or voices.

Keywords: Qur'an, meaning, relation, voice, articulation

أ. مقدمة

كان للغة دور عظيم في الحياة اليومية حيث يحتاج إليها سائر الناس في عملية اتصالهم. يدرس علم اللغة (*Linguistics*) عن اللغات من أية جوانبها المتعددة. لقد قام كثير من العلماء بدراسة اللغة من جانب علم اللغة الداخلي (*Microlinguistics*)-الذي يتعلق يالصوت والتركيب والدلالة-إلى جانب علم اللغة الخارجي (*Macrolinguistics*)-الذي يتعلق بعلاقة اللغة مع الجوانب الاجتماعية والثقافية والنفسية وغيرها. وهذه الجوانب من دراسة علم اللغة تمثل أبوابا معينة وبحوثا خاصة في علم اللغة مثل علم الأصوات (*Phonology*)، وعلم الصرف (*Morphology*)، وعلم النحو (*Syintax*)، وعلم اللغة الاجتماعية (*Sociolinguistics*)، وعلم اللغة النفسية (*Psycholinguistics*) وغيرها. أما البحث الخاص في علم اللغة الذي اهتم به كثير من العلماء واتسعت دراستها وتمددت فهو علم الدلالة (*Semantics*).

علم الدلالة هو علم يدرس عن المعنى.[١] بخلاف البحوث اللغوية الأخرى في علم اللغة التي لها مستويات لغوية خاصة في دراستها، فيدرس علم الدلالة في كل المستويات اللغوية حيث أنه يدرس المعنى الذي يتعلق بالأصوات والكلمات وأوزان الصرف والتراكيب والجمل وغيرها. رأى محمود عكاشة أن علم الدلالة ينقسم ميدان دراسته إلى أربعة أقسام: ١) الدلالة الصوتية، ٢) الدلالة المعجمية، ٣) الدلالة الصرفية، و٤) الدلالة النحوية.[٢] يتجلى من هذا الرأي أن لعلم الدلالة ميادين دراسية واسعة حيث لا تقتصر دراسته مثلا في مستوى الكلمة فحسب بل تمتد إلى مستويات عديدة مثل أوزان الصرف والتراكيب والجمل وغيرها. أما المستوى اللغوي الذي له دور مهم أساسي في دراسة علم الدلالة فهو المستوى الصوتي، وبخاصة

١ انظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، الطبعة الخامسة، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨، ص. ١١. وانظر فيرهار، *Pengantar Linguistik*، الطبعة االأولى، جوكجاكرتا: Gadjah Mada University Press، ١٩٨١، ص. ١٢٤.

٢ محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، القاهرة: دار النشر، ٢٠٠٥، ص. ١٣-١٦.

الصوت الوظيفي الذي له علاقة بالمعنى.

تعتبر الدراسة الدلالية الصوتية من الدراسات المهمة في علم اللغة حيث أنها تبحث عن أصغر المستويات اللغوية، حتى يقترح ابن جني في تعريف اللغة في الخصائص بذكر "الأصوات التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". استخدام ابن جني كلمة "الأصوات" يدل على اهتمامها في اللغة العربية حيث أنها تعين معنى الكلام، فكلما تتغير الأصوات، يتغير معنى الكلام، سواء كانت تظهر في الكلمة أو الكلام، فمثلا كلمة "ضلّ" في بعض المعاجم العربية التي لها عدة من القرينات، مثل "دلّ" و"ذلّ" و"جلّ" و"حلّ" و"خلّ". فاختلاف الفونيم في أوائل تلك الكلمات -أي فونيم /ض/، /د/، /ذ/، /ج/، /ح/، /خ/- تشير إلى المعاني المختلفة بينها.

لقد وُجدت هذه المسألة في القرآن الكريم حيث استخدم القرآن فونيم معين لتعبير المعنى المعين الموافق مع السياق الذي كان فيه المعنى. مثلا كلمة "قسم" التي تتكون من فونيم /ق/، /س/، /م/ في أية:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٣]

مع كلمة "قصم" التي تتكون من فونيم /ق/، /ص/، /م/ في أية:

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾[٤]

يتحد المعنى الأصلي بين الكلمتين وهو "الإعطاء" ولكن يتفرق استخدامهما في السياق، أما الكلمة الأولى فتستخدم في الإعطاء مع الأدب والاحتشام فلها الدلالة الإيجابية والكلمة الثانية تستخدم في الإعطاء دون الأدب والاحتشام ولكن مع الكسر والتفريق فلها الدلالة السلبية. وقد أكد الطبري على هذا المعنى حيث فسّر كلمة "قسم" بمعنى الإعطاء[٥] فحسب وكلمة "قصم" بمعنى الكسر[٦] فتشتمل الكلمة

٣ سورة الزخرف (٤٣): ٣٢.

٤ سورة الأنبيآء (٢١): ١١.

٥ أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، الجزء ٢١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠، ص. ٥٩٤.

٦ نفس المرجع، ص. ٤١٦.

الثانية إذن على الأعمال المتكررة من الكلمة الأولى. لقد ظهر الفرق بين المعنيين من اختلاف الفونيم في أوسط كل كلمة، وهو فونيم /س/ في الكلمة الأولى وفونيم /ص/ في الثانية. أما فونيم /س/ فهو أخف للنطق -إذ أنه من جملة أحرف الانفتاح [٧]- من فونيم /ص/ -إذ أنه من جملة أحرف الإطباق[٨] - فتستخدم كلمة "قصم" التي فيها فونيم /ص/ للأعمال المتكررة ولها الدلالة السلبية وتستخدم كلمة "قسم" لمعنى الإعطاء فحسب إذ أن فونيم /ص/ أثقل للنطق من فونيم /س/. تجلى من هذه المسألة المعنوية أن انحراف الأصوات في القرآن يدل على المعاني المقصودة المشتملة ضمن تلك الكلمة أو الكلام. تعتبر هذه القضية أمرا مهما في القرآن حيث أنها تبحث عن الأصوات القرآنية التي لها علاقة بالمعنى. لذا يريد الباحث أن يبحث هذه القضية لكي تعرف الصور عن انحراف الأصوات في القرآن ويكشف بعض المعاني لتي تتعلق بتلك الأصوات.

ب. مبحث

١. التعريف بالدلالة الصوتية

يرجع مصطلح الدلالة الصوتية-رغم أنه دخل ضمن علم الدلالة-إلى شعبتين من شعب علم اللغة، علم الدلالة (*Semantics*) وعلم الأصوات (*Phonology*). علم الأصوات هو شعبة من علوم اللغة التي تدرس عن الأصوات اللغوية العامة. وأما مصطلحة "*Phonology*" فهي تتكون من كلمة "phone" اليونانية يرجع معناها إلى "الصوت" وكلمة "*logos*" يرجع معناها إلى "العلم".[٩] تنقسم دراسة علم الأصوات إلى قسمين: علم الأصوات النطقي (*Phonetics*) وعلم الأصوات الوظيفي (*Phonemics*). أما علم الأصوات النطقي فيبحث عن كيفية أدآء الأصوات اللغوية

٧ انظر علي الخولي، معجم علم الأصوات، الطبعة الأولى، الرياض: دون الطبعة، ١٩٨٢، ص. ١٩، ٢٥.

٨ نفس المرجع، ص. ١٩، ٢٥.

٩ عبد الخير، *Linguistik Umum*، جاكرتا: Rineka Cipta، ٢٠٠٧، ص. ١٠٢.

مـن منطـق النـاس، مثـل أدآء صـوت "i" الإندونيـسي في كلـمات "ini" و"*aktif*" و"*ikan*" وغيرهـا. أمـا علـم الأصـوات الوظيفـي فهـو يبحـث عـن وظيفـة الصـوت في أدآء المعنـى أو تعلـق الصـوت بالمعنـى، مثـل كلمـة "*baku*" الإندونيسـية مـع قرينتهـا (*Minimal pair*)،[١٠] مثـلا كلمـة "*paku*" حيـث تبـدأ الكلمـة الأولى بفونيـم /b/ وتبـدأ الكلمـة الثانية بفونيـم /p/ ثـم يليهـا فونيـم /u/ ،/k/ ،/a/ مركبـا. فيتفـرق المعنـى بـين الكلمتـين وفقـا لتفـرق الفونيـم في أول الكلمـة، حيـث يعـود معنـى الكلمـة الأولى إلى الأصـل والأسـاس [١١]ويعـود معنـى الكلمـة الثانيـة إلى شيء مصنـوع مـن معـدن مـع اسـتدقاق القنـة.[١٢] أمـا في اللغـة العربيـة فتوجـد مثـلا كلمـة "قضـم" التـي تتكـون مـن فونيـم /ق/، /ض/، /م/ مـع كلمـة "خضـم" التـي تتكـون مـن قونيـم /خ/، /ض/، /م/، وهـما تعنـي المضـع أو الأكل أصـلا. أمـا الفـرق بـين كلتـا الكلمتـين فيقـع في أولهـما، وهـما فونيـم /ق/ في الكلمـة الأولى وفونيـم /خ/ في الكلمـة الثانيـة. لـذا تسـتعمل الكلمـة الأولى خاصـة لمضـع الأشـياء الثقيلـة وتسـتعمل الكلمـة الثانيـة لمضـع الأشـياء الخفيفـة، [١٣] لأن فونيـم /ق/ أثقـل للنطـق مـن فونيـم /خ/. [١٤]

هـذا البحـث الـذي يـدرس عـن الأصـوات التـي لهـا علاقـة بالمعنـى تبحـث أيضـا في علـم الدلالـة. وهـذا العلـم شـعبة في علـم اللغـة تبحـث عـن المعنـى، سـواء كان في المسـتوى المعجمـي، الـصرفي، النحـوي، السـياقي والمسـتوى الـذي أقـام بـه الباحـث في

١٠ تقصـد القرينـة بالكلـمات التـي تبنـى مـن مبنـى واحـد مـع تفـرق الفونيـم بينهـا. انظـر عبـد الخـير، ص. ١٢٥.

١١ مجمـع اللغـة وزارة التعليـم الـدولي، *Kamus Besar Bahasa Indonesia*، جاكرتـا: مجمـع اللغـة، ٢٠٠٨، ص. ١٢٣.

١٢ نفس المرجع، ص. ١١٠٧.

١٣ السيوطي، المزهر، دون مكان الطبعة والسنة، ص. ٥١.

١٤ انظـر كـمال بـشر، علـم اللغـة العـام، مـصر: دار المعـارف، ١٩٧٩، ص. ١٠٩. وانظـر إبراهيـم أنيـس، الأصـوات اللغويـة، القاهـرة: مكتبـة الأنجلـو المصريـة، ١٩٩٩، ص. ٧٣-٧٤.

هـذه المقالـة، المسـتوى الصـوتي، وبخاصـة العلاقـة بـين الصـوت والمعنـى. لقـد أقيمـت البحـوث عـن العلاقـة بـين الصـوت والمعنـى في العـالم العـربي منـذ العهـد القديـم حيـث أقـام بهـا العلـماء المتقدمـون مـن الأصوليـين والبلاغيـين واللغويـين لفهـم معـاني القـرآن لـكي يسـتطيعوا أن يسـتنبطوا الأحـكام الإسـلامية ويسـتخرجوا القواعـد اللغويـة منـه.[١٥] تركّـزت دراسـتهم أولا في انسـجام الأصـوات في ألفـاظ القـرآن وتشوّشـها أو اختلاطهـا حتـى يسـتطيعوا أن يفهـم العلاقـة بـين الصـوت واللفـظ فيـه. لقـد ظهـرت هـذه الدراسـات اللغويـة تابعـة لظهـور الاختـلاف حـول إعجـاز القـرآن، فـرأى الأول بـأن معجـزة القـرآن تقـع في ألفاظـه، أمـا الثـاني فـرأى أنهـا تقـع في معانيـه. لـذا درس العلـماء المتقدمـون العلاقـة بـين أصـوات القـرآن وألفاظـه مـع المعـاني الموجـودة ضمنـه. [١٦]

لقـد اهتـم العلـماء مـن بعدهـم اهتمامـا كبـيرا عـلى دراسـة الصـوت والمعنـى وتطـورت تطـورا سريعـا حيـث بـدأ الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي (١٧٥ هــ) ببحـث العلاقـة بـين الصـوت والمعنـى. فـرأى أن في اللغـة العربيـة علاقـة وثيقـة بـين الألفـاظ والمعـاني الموجـودة ضمنهـا، وأن العـرب يختـارون الأصـوات المعينـة لتعبـير المعـاني المعينة. ورأى سـيبويه (١٨٠ هــ) أن في اللغـة العربيـة علاقـة بـين اختيـار الحـركات المعينـة لتعبـير المعـاني المعينـة. لقـد أكّـد هذيـن القولـين لغـوي كبـير عثـمان ابـن جنـي (٣٩٢ هــ) الـذي بحـث عـن العلاقـة بـين الصـوت والمعنـى بحثـا واسـعا مـن لغـات شـتى. فـرأى أن في اختيـار أحـرف الألفـاظ في اللغـة العربيـة معتمـد عـلى الأشـياء الواقعـة التـي ترجـع إليهـا تلـك الألفـاظ، فالأعـمال الثقيلـة تعبّرهـا بالأحـرف الثقيلـة النطـق والأعـمال الخفيفـة تعبّرهـا بالأحـرف الخفيفـة النطـق.[١٧] لقـد عـرض ابـن جنـي جملـة مـن المفـردات العربية

١٥ هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، أردن: إيربد، ٢٠٠٧، ص. ٤٩.

١٦ نفس المرجع، ص. ٤٩.

١٧ انظـر عثـمان ابـن جنـي، الخصائـص، الجـزء الثـاني، مـصر: الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، ١٩٩٩، ص. ١٦٥.

التي لها علاقة بين الصوت مع المعنى الموجود ضمنها في باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" و "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" لتأكيد هذا الرأي،[١٨] مثلا كلمة "قضم" و"خضم" كما سبق. وكذا كلمة "نفر" التي تتكون من فونيم /ن/، /ف/، /ر/ وكلمة "نفذ" التي تتكون من فونيم /ن/، /ف/، /ذ/ مع اختلاف معانيهما المعينة وفقا لاختلاف أخير الحرف منهما. [١٩]

ولو أن الدلالة الصوتية ترجع إلى شعبتين من علوم اللغة كما سبق، فإنها في الواقع تعتد من المباحث في العلم الدلالة. من هذه النقطة، يتبن بأن المعنى الموجود في الكلمة أو الكلام يعتمد من الأصوات التي تتكون منها الكلمة أو الكلام. وكذا إذا ينظر ما قد ذكر أولا من الأمثلة لقد وجد أن الأصوات التي بحثت عنا الدلالة الصوتية هي التي لها علاقة بالمعنى فحسب، لا غيرها، أو بعبارة أخرى الأصوات التي لها صفة وظيفية (*Phonemics*).

٢. أقسام وأنظمة للدلالة الصوتية

يدخل ميدان علم الدلالة كما ذكر سبق في المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والسياقي. أما الدلالة الصوتية فتدخل ضمن المستوى الصوتي، أي-بعبارة أخرى- تعيين المعنى الموجود في الكلمة أو الكلام بالأصوات التي تتكون منها الكلمة أو الكلام. فكلما انحرفت الأصوات في الكلمة أو الكلام فتغير معناها.

انطلاقا من هذه النقطة، رأى ابن جني-كأول من بحث هذه القضية طويلا في كتابه الخصائص-أن الدلالة الصوتية تنقسم دراستها إلى قسمين: ١) الدلالة الصوتية الطبيعية (*Natural*) وهي تدرس الأصوات الطبيعية التي دخلت واستعملت فوريا في اللغة أو تعرف بمصطلح *Onomatope*، مثل صوات "صر صر" لتعبير صوت

١٨ نفس المرجع، ص. ١٥٢-١٧٨.

١٩ عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، عمان: دار الضياء، دون السنة، ص. ١٦٦.

القطـرس، أو صـوت "غـاق" لتعبـير صـوت غـاق، أو صـوت "قهقهـة" لتعبـير الضحـك (القهقهـة)، و٢) الدلالـة الصوتيـة التحليليـة (*Analytic*) وهـي التـي دخـل فيهـا أكـثر الوقائـع المتعلقـة بالأصـوات اللغويـة التـي يمكـن بحثهـا وتحليلهـا في علـوم اللغـة. وهـذه الدلالــة تنقســم إلى قســمين: ١) الدلالــة الصوتيــة المطــردة (*Segmental phonemes*) وهــي تتمثــل في الأصــوات الصائتــة (*Vocal*) والأصــوات الصامتــة (*Consonant*)، و٢) الدلالــة الصوتيــة غــير المطــردة (*Suprasegmental phonemes*) وهــي تتمثــل فيــما ورأ تلـك الأصـوات مـن تنـوع تعبـير تلـك الأصـوات كالنـبر والتنغيـم والوقـف وغيرهـا. [٢٠] يسـاوي هـذا القسـم الأخـير مـن قسـمي الدلالـة الصوتيـة في علـم اللغـة العـام وبخاصـة في علـم الأصـوات بحيـث أن الفونيـم ينقسـم إلى قسـمين *Segmental* وهـو يمكـن بحثـه مـن الجانـب التركيبـي في اللغـة وفونيـم *Suprasegmental* وهـو يمكـن بحثـه مـن مـما فـوق التركيبيـة في اللغـة. [٢١]

هـذا ويمكـن وضـع تلـك الأقسـام التـي أقـام بهـا ابـن جنـي عـن الدلالـة الصوتيـة- عنـد الباحـث- في النظـم اليـلي الـذي يسـاعد للباحثـين في بحـث هـذه القضية:

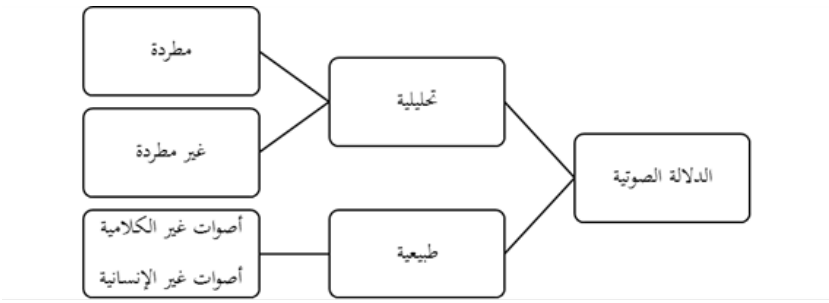

٢٠ بوزيـد هـادف سـاسي، الدلالـة الصوتيـة عنـد ابـن جني مـن خـلال كتابـه الخصائـص، www.almaktabah.net. منقـول في ١٨ أكتوبر ٢٠١٥، سـاعة ٠١,٠٠.

٢١ عبد الخير، *Linguistik Umum*، ص. ١٢٠.

أ) الدلالة الصوتية المطردة (*Segmental phonemes*)

تعد الدلالة الصوتية المطردة من أقسام الدلالة الصوتية التي بحث عن الفونيم أو الأصوات الموجودة في الكلمة. لذا فتعيين المعنى المشتمل ضمن تلك الكلمة استند من وجود الفونيم أو الصوت في تلك الكلمة. فإذا انحرف أو تغير الصوت في الكلمة، فتغير المعنى. هذا التعريف يساوي مع ما قد اقترح ابن جني أول مرة في كتابه خصائص من مفهوم "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني".[٢٢] انطلاقا من هذا المفهوم، رأى ابن جني أن الكلمات التي لها قرب في تعبيرها فيمكن أن يشمل المعنى القريب. فيؤتي ابن جني جملة من الأمثلة لتأكيد رأييه، مثل كلمة "قضم" (/ق/، /ض/، /م/) و"خضم" (/خ/، /ض/، /م/) كما شرحها الباحث. إن الفرق أو الاختلاف الموجود بين الكلمتين تقع في أول حروفهما فحسب، وهما /ق/ و/خ/. تعتد الكلمتان من جانب المخرج (*Place of Articulation*) من الكلمة الحلقية (*Pharyngeal*) أو الصوت المتعبرة من الحلق، ولكن من جانب النطق (*Way of Articulation*) فيطلق الصوت "ق" في الكلمة الأولى "قضم" من الأصوات المجهورة (*Plosive voices*) بخلاق الصوت "خ" في الكلمة الثانية "خضم" فيطلق من الأصوات المهموسة (*Fricative voices*). لذا، يتوحد معنى الكلمتين-وهو "الأكل" كما ذكر- وفقا لتوحد المخرج بين الفونيمين أو الصوتين "ق" و"خ"، ولكن الكلمة الأولى "قضم" تستخدم لأكل الشيء الجامد لاتفاقه مع نوع نطق صوت "ق" المجهور التي هي أثقل من نوع نطق صوت "خ" المهموس. فيستخدم الكلمة التي لها صوت مجهور ("قضم") للعمل الأثقل وفقا للتساق وصفهما ويستخدم الكلمة التي لها صوت مهموس ("خضم") للعمل الأخف للتساق وصفهما.

٢٢ انظر ابن جني، الخصائص، جزء ٢، ص. ١٥٢-١٦٨.

مـن هـذه الأمثلـة، يتبـين أن الأصـوات الموجـودة في الكلمـة تعـين معناهـا. أمـا الأصـوات المعينـة المعنـى كـما ذكـر تطلـق من الأصـوات المطـردة بمعنـى أن تلـك الأصوات يمكـن بحثهـا مـن خـلال المسـتوى التركيبـي أو بعبـارة أخـرى يمكـن معرفتهـا وتحليلهـا من وجـود حروفهـا في الكلمـة. هـذا وتنقسـم الدلالـة الصوتية المطـردة كما ذكـر إلى الصوائت، وهـي عبـارة تغيـير المعنـى الموجـود في الكلمـة وفقـا لانحـراف الأصـوات الصائتـة مـن تلك الكلمـة مثـل اسـتخدام الكلـمات التـي لهـا اختـلاف في أحـد أو بعـض حركاتهـا، وأيضـا الصوامـت، وهـي عبـارة عـن تغيـير المعنـى الموجـود في الكلمـة وفقـا لانحـراف الأصـوات الصامتـة مـن تلـك الكلمـة كـما وجـد بـين كلمـة "قضـم" و"خضـم". ولكـن لقـصر البحـث في هـذه المقالـة فيكفـي الـشرح في الدلالـة الصوتيـة المطـردة مجمـلا.

ب) الدلالة الصوتية غير المطردة (*Suprasegmental phonemes*)

إذا كانـت الدلالـة الصوتيـة المطـردة تبحـث عـن الأصـوات التـي تتمثـل في تركيبهـا، فتبحـث الدلالـة الصوتيـة غـير المطـردة عـن الأصـوات التـي تتمثـل مـا فـوق تركيبهـا مـن تنـوع تعبـير الكلمـة أو الـكلام.[٢٣] بعبـارة أخـرى أن تعيـين المعنـى الموجـود ضمـن الكلمـة أو الـكلام يعتمـد عـلى كيـف تلـك الكلمـة أو الـكلام تعتـبر أو تلفـظ. وهـذا النـوع مـن الدلالـة الصوتيـة تسـاوي مـع مـع وجـد في علـم اللغـة العـام مـن مصطلـح *Suprasegmental* بحيـث أن تعيـين المعنـى يعتمـد مـما فـوق التركيـب.[٢٤]

تنقسـم الدلالـة الصوتيـة غـير المطـردة في ضـوء علـم اللغـة إلى ثلاثـة أقسـام: ١) التحبـير الصـوتي (*Prosodic features*)، و٢) الأصـوات غـير الكلاميـة (*Non-speech sounds*)، و٣) الأصـوات غـير الإنسـانية (*Non-human sounds*). ولكـن لقصـد الحـصر في هـذه المقالـة والتركيـز، فيبحـث الباحـث عـن التحبـير الصـوتي مـع إتيـان بعـض الأمثلـة

٢٣ انظر محمود عكاشة، ص. ١٨-١٩.

٢٤ انظر عبد الخير، ص. ١٢٩.

من الآيات القرآنية التي لها انحراف صوتي اعتمادا على بعض السمات في التحبير، وهي التنغيم والنبر والوصل والفصل.

يقصد بالتحبير الصوتي (*Prosodic features*) السمة أو التميزة المقارنة في نطق الأصوات المتكون منها الكلمة أو الكلام.[٢٥] هذه السمة المقارنة في النطق- غالبا تسمى أيضا بالخصائص التحبيرية-تتمثل في تنوعات النطق، مثل التنغيم (*Intonation*)، والنبر (*Stress*)، والوصل والفصل (*Juncture*)، وغيرها. ولكن لإتيان القصر في الهذه المقالة فيكفي بشرح هذه الثلاثة:

١) التنغيم (*Intonation*)

يعتبر التنغيم-أو بمصطلح أخر يسمى بالتنوعات التنغيمية (*Intonation tones*)-من بعض الأنواع أو السمات لنطق أصوات الكلمة أو الكلام، سواء كان نطق الصوت ارتفاعي أو انخفاظي قصدا لتعبير المعنى المعين ضمن تلك السمات.[٢٦] مثلا عبارة "*He did not pass the exam*" في اللغة الإنجليزية، إذا كانت هذه العبارة تعبر بدون استخدام أية السمات أو التحبيرات وتعبر بطريقة بسيطة، فتعد هذه العبارة كلاما خبريا ولا تعني شيئا آخر إلا ما ظهر في ألفاظها، أو بعبارة أخرى تعنى معنى حرفيا اعتمادا على تركيبها. وإذا كانت هذه العبارة تعبر برفع الصوت عند النطق خاصة في أواخر العبارة فتعد العبارة كلاما إنشائيا وسوف تعني شيئا آخر، وهو الاستفهام. وهذا المعنى يمكن كشفه بعد الملاحظة على ما فوق تركيب العبارة وبخاصة كيفية نطق الأصوات في تلك العبارة. فتساوي إذن تلك العبارة معنى بعبارة "*He did not pass the exam*?" استفهاما اتساقا مع رفع الصوت في آخر العبارة.

---

٢٥ محمود عكاشة، ص. ١٩.

٢٦ محمود عكاشة، ص. ٤٩.

وقد وجدت هذه الواقعة في القرآن إلى جانب في اللغة العربية، مثلا في سورة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) برفع صوت كلمة "أزواجك" قصدا لتعبير المعنى الاستفهامي، كما شاع الشرح عن هذا المثال. وكذا في سورة الأنعام (٦): ٧٦.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾

"So when the night covered him (with darkness), he saw a star. He said: "This is my Lord." But when it set, he said: "I like not those that disappear."

تعد هذه الأية كلاما خبريا إذا تعبّر بدون استخدام أي السمات عند النطق، فتعنى إذن معنى حرفيا كما ظهر في تركيبها. ولكنه إذا تعبر هذه الأية برفع الصوت في آخر كلمة "هذا ربي" فتعني العبارة شيئا آخر اعتمادا من انحراف الصوت وتغييره، أي المعنى الاستفهامي، وهو تعبير عن شعور الشك والاضطراب التي أحس بها إبراهيم حينما بحث عن الله، لذا عندما وجد الكوكب في هذه الأية-أو القمر أو الشمس في الأية التالية-التي أعجبته بضيائها فأحس بعد ذلك يالشك والاضطراب وسأل لنفسه "هل هذا ربي؟". وقد اقترح هذا السؤال في نفسه وعبّره القرآن بدون استخدام أداة الاستفهام وفقا لعادته، بل برفع الصوت في آخر الكلام قصدا لإظهار السؤال الذي اقترح في ذهنه. وهذا المعنى أليق للسياق من المعنى الحرفي بحيث أن إبراهيم في تلك الحالة لما وجد الإله ولا يمكن له أن يعتقد شيئا إلها (ربا) في أول الأمر، بل يشعر بالشك بالاضطراب قطعا ويسأل نفسه عن هذه القضية قبل أن يعتقد نفسه. وقد أكد هذا المعنى ما جاء في بعض التفاسير مثلا، ذكر الكبري في تفسيره عن هذه الأية برأيه، إنما معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ، أي: ليس هذا ربي. فتحذف"الألف" التي تدلّ على معنى الاستفهام لتفعل

العرب يه.[٢٧] وهذا الاستخدام من انحراف الصوت في النطق المتمثل في التنغيمكما في الأية تدل على إنكار إبراهيم عما واجهه ووجده من الكوكب والقمر والشمس-لألا تكون إلها-بإتيان السؤال الإنكاري لنفسه.

٢) النبر (*Stress*)

يقصد مصطلح النبر بالقوة أو الجهد في مقطع معين في الكلمة أو الكلام قصدا لتبيين المعنى منها.[٢٨] مثلا، عبارة "*Blackboard*" الإنجليزية التي تتكون من كلمتين "*black*" و"*board*" إذا تعبر بوضع النبر في كلمة "*black*" فيدل معنى العبارة إلى "السبورة"، ولكن إذا تعبر بوضع النبر في كلمة "*board*" فيدل معناها إلى "اللوح الأسود".[٢٩] وهكذا في اللغة العربية توجد كلمة "تعال" التي يتفرق المعنى منها اعتمادا من انحراف الصوت عند نطقها. فإذا تعبر بوضع النبر القوي فتدل إلى معنى الأمر، بخلافها حينما تعبر بوضع النبر الخفيف فتدل إلى معنى الاستئفاف. [٣٠]هذا النوع من المعنى يعرف في علم اللغة العام بمصطلح نبر الانفعال (*Emotional stress*).[٣١] وكذا توجد هذه المسألة في القرآن في بعض الفرص مثلا في سورة الأنبياء (٢١): ٦٣.

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾

"He (Ibrahim) said: "Rather, this-the largest of them-did it, so ask him, if they should (be able to) speak."

٢٧ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، جزء ٩، ص. ٣٥٩.

٢٨ فريد عوض حيدر، علم الدلالة: دراسة نظرية وتطبيقية، القاهرة: مكتبة الأدب، ٢٠٠٥.، ص. ٢٤. وانظر محمود عكاشة، التحليل اللغوي...، ص. ٤٣.

٢٩ انظر عبد الخير، ص. ١٢١.

٣٠ انظر هادي نهر، علم الدلالة والتطبيق، ص. ٧٣-٧٤.

٣١ نفس المرجع، ص. ٧٣.

إذا تعبر كلمة "هذا" كما ذكر في الأية السابقة بوضع النبر فتؤتي الكلمة إلى معنى التأكيد بأن الذي فعل الضرب التفليس هو ما تشير إليه إشارة "هذا"، يعني الكبير من الأصنام. وهذا الوضع من النبر في الكلمة يؤثر في المعنى لسائر الكلام أو العبارة في الأية بحيث أنه إذا لم يوضع النبر في تلك الكلمة فلا تتفق الأية مع السياق الموجود حولها الذي يتحدث عن الشيئ المهم المقدس من الاعتقاد بالإله. لقد سأل المشركون عما وقع بأصنامهم كآلهتهم من التفلس والهلك بعد أن تركوهم من قبل، وقد أجاب إبراهيم-ولو أنه قد اقام بالتفليس والتهليك لتلك الأصنام-بالإشارة إلى أكبر الأصنام قصدا لأن يدل أنه هو أكبر الأصنام من جانب دون أن يكذب بكلامه، ومن جانب آخر يجتنب عن المكافحة مع المشركين ويكتم غضبهم عما حدث بأصنامهم. وهذا المعنى المشتمل المعتمد من نطق الأصوات أليق للسياق لأن إبرهيم في تلك الحالة ليس له قوة وبخاصة طاهرية لمكافحة المشركين حينما حدثت بينه مع المشركين. لذا يجيب بإتيان الإجابة الوسيطة لأن يجتنب المكافحة تارة ويدل على ما قد وقع بدون الكذب وجلب غضبهم تارة أخرى. فلا يمكن كشف هذا المعنى المشتمل إلا بعد أن تكشف العلاقة بين الصوت أو نطق الصوت وبخاصة وضع النبر مع المعنى ضمن تلك الكلمة.

٣) والوصل والفصل (*Juncture*)

يقصد مصطلح الوصل بعملية الوصل بين الكلمات أو العبارات حينما تعبرت قصدا لإتيان المفهوم الشامل بما قصد به في العبارة من المعنى.[٣٢] وقد وجد هذه المسألة في أية من القرآن في سورة الغاشية (٨٨): ١-٥.

٣٢ علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، القاهرة: دار الفضيلة، ١٤١٣. ص. ١٤٠. وانظر هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص. ٦٩.

﴿ هَـلْ أَتَـاكَ حَدِيـثُ الْغَاشِـيَةِ /١/ وُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ خَاشِـعَةٌ /٢/ عَامِلَـةٌ نَاصِبَـةٌ /٣/ تَصْـلَى نَـارًا حَامِيَـةً /٤/ تُسْـقَى مِـنْ عَـيْنٍ آنِيَـةٍ /٥/ ﴾

"Has there reached you the report of the Overwhelming (event)? /1/ (Some) faces, that Day, will be humbled /2/ Working (hard) and exhausted /3/ they will (enter to) burn in an intensely hot Fire /4/ they will be given drink from a boiling spring /5/."

لقـد شرح هـذه الأيـة عـن حالـة النـاس تفصيـلا يـوم القيامـة. ولـو أن هـذه الحالـة تـشرح وتعـبر مقطعـة في خمـس آيـات متفرقـة ولا في الأيـة الوحيـدة فـإن المفهـوم أو الصـورة التـي تـشرح عـن تلـك الحالـة تتمثـل في فقـرة واحـدة لا يقطـع بعضهـا مـن بعـض. لـذا لا يسـتطيع أن تقطـع تلـك الآيـات وتفـرق لاتحـاد مفهومهـا معناهـا بمعنـى أن السـورة والمفهـوم عـن حالـة النـاس لا يمكـن كشـفها شـاملا إذ لم يوصـل بعـض الآيـات مـن بعـض. لقـد تشـابهت إذن تلـك الآيـات المقطعـة فقـرة واحـد لا تقطـع.

"هَـلْ أَتَـاكَ حَدِيـثُ الْغَاشِـيَةِ؟ وُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ خَاشِـعَةٌ، عَامِلَـةٌ نَاصِبَـةٌ، تَصْـلَى نَـارًا حَامِيَـةً، تُسْـقَى مِـنْ عَـيْنٍ آنِيَـةٍ".

"Has there reached you the report of the Overwhelming (event)? (Some) faces, that Day, will be humbled, working (hard) and exhausted. They will (enter to) burn in an intensely hot Fire. They will be given drink from a boiling spring."

هـذا وأمـا مصطلـح الفصـل-أو بعبـارة أخـرى يسـمى بالانتقـال (*Transition*)- فيقصـد بـه عمليـة الوقـف لحظـة فيـما بـين الكلـمات أو العبـارات حـين وقعـت لقصـد المعنـى معـين، أو-بعبـارة أخرى-وضـع الوقـف الـذي يفـرق بعـض أجـزاء أصـوات اللغـة، مثـل الكلـمات أو التراكيـب لقصـد مثـلا معنـى التأكيـد أو إظهـار الخـوف أو غيرهـما.

[٣٣] يمكن فهم هذه المسألة من إجابة عيسى عليه السلام عن السؤال الذي اقترحه الله في سورة المائدة (٥): ١١٦ مثلا.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

"And (beware the Day) when Allah will say, "O Jesus, Son of Mary, did you say to the people, 'Take me and my mother as deities besides Allah?"

فخاف عيسى عن هذا السؤال وهو يعتقد أن الله يقترحه إليه قصدا للتنبيه أو التحذير، فوجل عيسى خوفا عن سؤاله وأجاب بتأتأة:

"سُبْحَانَكَ / مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ / إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ / تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ / إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ / مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ"

"Exalted are you / it was not for me to say that to which I have no right / if I had said it, You would have known it / you know what is within myself, and I do not know what is within Yourself / indeed, it is You who Knower of the unseen / I said not to them except what You commended me to worship Allah, my Lord and your Lord"

من هذه الإجابة يتبين أن وجود الفصل الذي يفرق بين الكلمات أو العبارات في تلك الأية يؤثر إلى وجود المعنى الآخر. وبسبب هذا الانحراف الصوتي تؤتي الأية إلى معنى آخر أليق من المعنى الحرفي كما ظهر في الأية، وهو أليق للسياق بحيث أن هذا المعنى يظهر خوف عيسى جليا عن سؤال الله إليه اعتمادا على الانحراف الصوتي في في النطق، وهو بوضع الفصل بين تلك الكلمات أو العبارات في الأية. ولا

٣٣ محمود عكاشة، ٥٢-٥٣.

يمكن كشف هذا المعنى إذ تفهم الأية من المعنى الحرفي فحسب. [٣٤]

ج. خاتمة

. تتعلق الأصوات التي تبني منها الكلمة أو الكلام بالمعنى الموجود ضمنها. بمعنى أن تعيين معنى الكلمة أو الكلام يعتمد على نوع الأصوات فيها وكيفية نطقها. فكلما انحرف نطق الأصوات في الكلمة أو الكلام فتغير المعنى. وقد وجدت هذه الظاهرة في القرآن بحيث أن جملة عظيمة فيها تتعلق الأصوات التي تبنى منها الآيات بالمعنى المشتمل ضمنها. وهذا المعنى لا يمكن كشفه إلا بعد أن أقيم التحليل الدلالي في تلك الآيات وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بالانحراف الصوتي في القرآن الذي يؤثر المعنى.

وتوجد هذه العلاقة بين الأصوات اللغوية المتضمنة في القرآن والمعاني التي تتأثر من وجود تلك الأصوات في شتى المواضع، منها التنغيم (*intonation*)، النير (*stress*)، والفصل والوصل (*juncture*). أما العلاقة التي تتوصل بين الأصوات القرآنية والمعاني المتأثرة منها لها ارتباط حميم بالسياق الذي يدور بين تلك الآيات المقصودة. وأرى أيضا أن تلك العلاقة لا يقع في ناحية التحبير الصوتي فحسب، بل في الأصوات التركيبية وغير التركيبية أيضا. لذا، يرجى لكل من يتخصص في علم اللغة العربية إقامة البحث والدراسة في هذه المشكلة إلى جانب إقامة التحليل العلمي وبخاصة ما يتعلق بعلاقة الصوت والمعنى في شتى المواضع.

٣٤ تمام حسان، الخلاصة النحوية، مصر: عالم الكتب، ٢٠٠٠، ص. ١٩.

الـمصادر والـمراجع

المراجع العربية

القرآن الكريم

أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩.

بشر، كمال. علم اللغة العام. مصر: دار المعارف، ١٩٧٩.

الجرجاني. معجم التعريفات. القاهرة: دار الفضيلة، ١٤١٣.

جنـي، عثـمان ابـن. الخصائـص، الجـزء الثـاني. مـصر: الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، ١٩٩٩.

حيـدر، فريـد عـوض. علـم الدلالـة: دراسـة نظريـة وتطبيقيـة. القاهـرة: مكتبـة الأدب، ٢٠٠٥.

الخولي، علي. معجم علم الأصوات، الطبعة الأولى. الرياض: دون الطبعة، ١٩٨٢.

سـاسي، بوزيـد هـادف. الدلالـة الصوتيـة عنـد ابـن جنـي مـن خـلال كتابـه الخصائـص، دون السـنة، www.almaktabah.net.

السيوطي، المزهر. دون مكان الطبعة والسنة.

الطـبري، أبـو جعفـر. جامـع البيـان في تأويـل القـرآن، الجـزء ٢١. بـيروت: مؤسسـة الرسـالة، ٢٠٠٠.

عكاشـة، محمـود. التحليـل اللغـوي في ضـوء علـم الدلالـة: دراسـة في الدلالـة الصوتيـة والصرفيـة والنحويـة والمعجميـة. القاهـرة: دار النـشر، ٢٠٠٥.

عمر، أحمد مختار. علم الدلالة، الطبعة الخامسة. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨.

مجاهد، عبد الكريم. الدلالة اللغوية عند العرب. عمان: دار الضياء، دون السنة.

نهر، هادي. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. أردن: إيربد، ٢٠٠٧.

المراجع الأجنبية

Chaer, Abdul. *Linguistik Umum.* Jakarta: Rineka Cipta. 2007.

Pusat Bahasa Departemen Pendidikan Nasional. *Kamus Besar Bahasa Indonesia.* Jakarta: Pusat Bahasa. 2008.

Verhaar. *Pengantar Linguistik*. Yogyakarta: Gadjah Mada University Press, 1981.